عظة في قداس افتتاح العام الدراسي / ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥ /

بسم الآب والابن والروح القدس. الإله الواحد آمين.

يا أحباء نبدأ هذه السنة الدراسية الجديدة، بإقامة القداس الإلهي. وهو لأمر مهم جداً. نجتمع كلنا في القداس الإلهي، سويةً، مع بعضنا البعض، أي أنّنا بكلام آخر ننسى كوننا أفراد، كل واحد مستقل بنفسه عن الآخرين، فنتذكر أننا سويةً، نجتمع معاً، واجتماعنا هو في الربّ .

في الدّورة الصغرى ، كما نسميها، يمسك الكاهن الإنجيل ويطوف به في وسط الجماعة المؤمنة، في وسط الكنيسة، ويحمله بيديه ويرفعه، وبعد ذلك يرسم إشارة الصليب قائلاً " الحكمة لنستقم ". وبذلك فإن محور حياة كل المجتمعين، كل هذه الجماعة المؤمنة التي تصلي سويةً بفمٍ واحد، هو هذا الإنجيل، هو قول الرب، هو كلمة الرب! إن عيوننا كل عيوننا شاخصةً إليه، فعندما يرفع الكاهن الإنجيل نكون كلنا ناظرين إليه لأنه هو حياتنا، وهو محور كل تصرّف وكل قول في حياتنا، في كل يوم. نحن مشدودون إلى كلمة الرب، إلى الرب يسوع المسيح. إنه لمن المهمّ أن نضع شعاراً لسنتنا الجديدة ولعامنا الجديد " أننا أتينا من أجل الرب يسوع ". يجب ألا ننسى ذلك يا أحباء، لأن اهتمامات العالم وضعفاتنا ومغريات إبليس، كل ذلك يشدنا إلى أسفل فننسى. من المهم ألا ننسى أننا من أجل الرب يسوع أتينا. لذلك أردنا أن تكون انطلاقتنا ليس فقط بصلاة الغروب، والتي هي أمر مهم جداً، وكذلك تقديس الماء وشرب الماء المقدس وكأننا نريد أن نقول إنه يجب أن يكون كل شيء مقدس، حتى جسمنا يجب أن يتقدس، ومعدتنا يجب أن تتقدس، ولذلك فإننا نقدس المياه ونشربها ونرشها؛ أردنا أن تكون انطلاقتنا أيضاً بهذه الوقفة الهامة جداً هذا الصباح!
أردنا أن ننسى كل شيء وأن نطرح عنّا كل إهتمام دنيوي كوننا مزمعين أن نستقبل ملك الكل، كما سنرتّل بعد قليل. ثمّ إننا سنأتي إلى الكأس المشتركة عندما يعرضها الكاهن فنشترك في جسد ودم الربّ الكريمين. عندما سيتناول الواحد منا جسد ودم الرب الكريمين، فهما اللذان سيجريان في عروقه. كلنا سوف نشترك في الكأس الواحدة، فالدم هو الذي يقدّسنا وهو الذي يسير ويتغلغل في عروق كل واحد منا. وهذا أمر لو فكرنا فيه لعلّمنا الكثير.

دعونا نتذكر أمرين. الأمر الأول: هو أن جسد المسيح ودمه الكريمين في، أن المسيح بالتالي في، أن المسيح قد ثبت في وعلي أنا أن أثبت فيه، فيكون بالتالي هذا شعارٌ وطريقةٌ ونموذجُ تعاملٍ مع كل الناس ومع نفسي. أينما وحيثما حللت يجب أن أتذكر أن المسيح في وأنه علي أن أتصرف كما علي يليق بهذا المسيح الذي أرتضى أنا أن يكون في، وإلا سيكون وجوده في دينونةً بالنسبة لي. هذا ناموس يُملي علينا كيفية التصرّف مع ذواتنا ومع الآخرين.

الأمر الثاني: هو أن المسيح منك. فأنا عندما أخاطبك، أحادثك، أتمشى معك، فكأنني أتمشى مع المسيح الذي فيك. فإذا أحببتك أحببته، وإذا أهنتك أهنته، وهذا أيضاً ناموسٌ هامٌ جداً يذكّرنا بكيفية التصرّف والسلوك في حياتنا مع ذواتنا ومع الآخرين.
اجعلوا يا أحباء الذي أريد أن أقوله اليوم بكل بساطة الشيء التالي. نحن في هذا الدير المقدس، في هذه الكنيسة المقدسة كنيسة السيدة العذراء في دير البلمند، في معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي، أشخاص من المفترض أننا تركنا كل شيء، تركنا العالم

وما فيه، تركنا الأهل والأصدقاء وكل شيء، وأتينا لكي نكون جنوداً للمسيح يسوع. نخدم في كرمته، في كنيسته المقدسة، نخدم شعبه الكريم ونحيا له. دعوني أقول، وبكل بساطة، إجعلوا انطلاقتنا في هذا العام الدراسي، هي هذا القداس الإلهي.

إن كان فعل وبركة خلاص هذه الليتورجيا الإلهية، التي أقمناها، سينتهي بعد نصف ساعة، أي عندما يقول الكاهن "بصلوات آبائنا" فإنّنا لم نفهم شيئاً مهماً أبداً. بل على العكس نكون قد جلبنا دينونة لأنفسنا. دعوا جسد الرب ودمه الكريمين، اللذين سنتناولهما في هذا القداس الإلهي، يشدانا كل أيام حياتنا ويكونا معنا كل أيام هذه السنة. دعوا فعل هذه الليتورجيا يمتدّ إلى خارج حدود هذه الجدران، جدران الكنيسة المقدسة التي نكرمها ونجلّها، دعوه يمتد إلى الخارج، إلى قلوبنا، إلى حياتنا في كل وقت، إلى تصرفاتنا وحياتنا وأقوالنا ودرسنا وعملنا وخدمتنا. دعونا نتذكر أن الرب يسوع قد سكن فينا وأننا مشدودون إليه. دعونا نتذكر أننا قد أحببنا الرب يسوع، ومن أجله أتينا، وهو ناموسنا. ولذلك فإننا في علاقاتنا مع بعضنا، في علاقة العميد مع الأساتذة، والأساتذة مع العميد، الطلاب مع العميد، والعميد مع الطلاب، الطلاب مع بعضهم، الأساتذة مع بعضهم، في علاقة كل الناس وفي علاقة كل إنسان مسيحي، وكل البشر على وجه الأرض، فإنّ لم تكن أخلاق المسيح وناموسه، إنْ لم يكن إنجيل المسيح هو ناموسنا فماذا تنتظرون أن يصير سوى كل إنشقاق وكل مشكلة وكل اضطراب، لأن أمورنا البشرية هي التي تتطفى علينا. لقد سمعتم الرسول بولس يقول " اليوم أناشدكم في الرب ألا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم ببطلان عقولهم، بعقولهم الفاسدة التي تبطل وتفسد ولا تكون بعد نيرة ومستنيرة، الذين أظلمت بصائرهم وتغربوا عن حياة الله للجهل الذي فيهم لعمى قلوبهم ..."، اجعلوا قلوبكم متفتحة، اجعلوا أذهانكم مستنيرة بناموس الربّ، لأن الواحد منا إذا جاهد أن يجعل ناموس الرب فيه فإن عقله سيستنير وينفتح ذهنه، وعندها يسلك بحسب ناموس الرب كما يُرضي الرب وكما يُرضي وصيته ووجدانه، وإلا فإنّ الواحد منا تصير له عين ولا يبصر، كما يقول في الإنجيل، وعند ذلك يتخبط في الظلمة، ومن يسلك في الظلمة يعثر وقد يسيء إلى نفسه وإلى الآخرين الذين لفقدهم إلى حس، أسلموا أنفسهم إلى العهر لارتكاب كلّ نجاسة بفرط الطمع.

نعم، الذي يعمى قلبه والذي تُظلم بصائره يفقد حسّه ويصبح عنده حسٌ بفرط الطمع. وكما نقول بكلامنا الدارج عندما يبطر الإنسان وتعمى عيونه، يصبح بدون حسّ، حتى إنّه عندما يسيء إلى الآخر فهو لا يرى إنه قد قام بشيءٍ يذكر بل على العكس يشعر أنه بألف نعمة وخير. وذلك لأن الحس الذي بداخله يموت، فالخطيئة تميت الحسّ الصحيح والحسّ في داخلنا . أما أنتم فتعلّمتم، إن كنتم قد سمعتم المسيح، وتعلمتم منه على حسب الحقيقة التي فيه، أن تنبذوا عنكم كلّ جهة تصرفكم السابق، الإنسان العتيق الفاسد بشهوات الغرور، وأن تتجددوا بروح أذهانكم، وأن تلبثوا الإنسان الجديد الذي خُلق على مثال الله في البرّ وفي قداسة الحق.
هذه هي حياتنا، اللاهوت الذي أتيتم من أجله. جميل جداً هذا اللاهوت لأنه هو العلم الإلهي، ولا يوجد أسمى منه. اللاهوت هو العلم الإلهي. ولكن ما هو هذا العلم الإلهي؟ هو أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي، والذي أرسلته يسوع المسيح. المعرفة الحقيقية هي أن يعرفوك أنت الآب، الإله الحقيقي، والذي أرسلته يسوع المسيح. وأن يعرفوك أنت، الرب يسوع المسيح الذي أرسلته، ليس بالكلام، ليس بأن تخضع وتسجد وتُذل جسدك وحسب. إن معرفة الله هي أن تجعل الله ساكناً فيك، أن تنجذب أنت إليه، أن تتحول أنت إليه كما سمعنا قبل قليل " أن تتجددوا بروح أذهانكم ". هذا يعني ألا يعود ذهنك ذاك الذهن الفاسد العتيق، بل يصير ذاك الذهن الجديد بالمسيح يسوع. وقلبك لا يكون ذاك القلب المظلم، بل يكون ذاك القلب المستنير بنعمة الرب، التي تحلّ في الإنسان الجديد الذي خُلق على مثال الله في البرّ وقداسة الحق. لذلك انبذوا الكذب عنكم، تكلموا بالصدق. مع الله لا يوجد كذب، يا أحباء. نتذكر جميعنا الحادث الذي جرى مع حنانيا، قال له " أنت لا تكذب على الناس بل تكذب على الروح القدس". الصدق ، الإستقامة! نحن أتينا إلى

هنا لنكون صادقين أمام الله وذواتنا، صادقين في جهادنا وفي حبّنا لله. تصوروا أن يكون الواحد منا كاذباً في حبّه لله! ما معنى وجوده وبالتالي ما معنى كل حياته في المسيح يسوع؟

نحن صادقين ولا نتخلى عن صدقنا، نعم صادقين وثابتين في صدقنا لأننا نطلب الرب يسوع بكل صدق وبكل ثبات وبكل جدية وبدون أيّ تراجع، ووضعنا يدنا على المحراث ولن نلتفت إلى الوراء، ولكن هذا يتطلب السّهر، الوعي، لكي لا يعثر الواحد منا ولا يتلّهى بأضاليل وبألاعيب إبليس، فيسقط من جديد ويضل.

إن الرب الإله، يا أحباء، بشفاعة العذراء مريم والقديسين، يوحنا الدمشقي شفيع المعهد وجميع القديسين، يعطينا القوة جميعاً، كلنا سوية، أن تحل نعمة روحه القدّوس علينا، فنسمح للنعمة أن تقدّس قلوبنا وأذهاننا وأيدينا وأرجلنا، وكلّ عضو من أعضاء جسدنا، وكل حاسّة من حواسنا، حتى نعيش للرب بالفعل، حتى تكون هذه السنة سنة مباركة للرب بالفعل، كل واحد منا ينمو فيها بالبرّ والقداسة، وأن ننمو بالتالي سوية، فيتمجد اسمه العليّ، الذي نريده أن يكون عالياً وممجداً. هو المبارك إلى الأبد آمين.